قصة . أدبية . إجتماعية . أخلاقية

بقلم

(حقوق الطبع محفوظة للمؤلف)

(الطبعة الأولى) ١٣٦٦هـ — ١٩٤٧ م

مطبعة السعيدية بطنطا

بسم الله الرحمن الرحيم

الاهداء

إلى كل من يشعر بنكبات الحياة ولا ينطق بها لسانه

إلى كل من تغره الحياة ولا يشعر بما فيها .

إلى من عضته الحياة بنابها ولم يرفع صوته .

إلى الآباء أهدى ﴿ العظة ﴾

محمود سيد غلاب

مقدمة المؤلف

نحمد الله على ما أسبغت من نعمة ورفدت من عطاء وأسديت من منح فعلينا الشكر ومنا الثناء . جعلت لكل إمرىء سبيلا يسلكه فلا يحيد عنه وطريقا يناله فلا يزيغ دونه . لم تحرم المعدم الكسب فى الحياة ، ولم تسلب البائس اللذة فى المعاش . وصلاة وسلاما على من أحببت ، واصطفيت واخترت واجتبيت فنعم الحبيب المصطفى المختار رشيد قومك وحفيظ أملك .

أما بعد فقد إغتنمت المنعة الماضية من الوقت والفرصة السانحة من الفراغ فوضعت فيها قصتى هذه وأظنها تتكرر كثيراً فى هذه الحياة المملوءة بالأعاجيب فقد رأيتها منذ طفولتى وما زالت مؤثرة فى نفسى .

فكتبتها بدموع العيون ودماء القلوب . على أنى لست ممن لهم اليد الطولا والقدح المعلى فى سبر غور هذا البحر الخضم ماؤه المتلاطم أمواجه (ولكن المرء ينشأ صغيراً ويصبح كبيراً) ومالنا لانسير سير الكبراء ونتهج نهج العظماء وقد أضاؤا لنا السبيل لنحذوا حذوهم ونتحوا نحوهم فنال قسطا مما نالوا . من ذكر خالد ، ومجد تالد وصيت ذائع ، وأدب رائع . والله نعم المرشد المعين إلى الصراط المستقيم .

وإنى لأرجو من سويداء القلب وحبة الفؤاد أن تقع قصتى هذه موقع القبول وتنزل من القارىء الكريم منزلة سامية فأنال بذلك ما أتمناه رضى عشيرتى وإخوانى فأكون قدمت للأدب خدمة جليلة ولأهله هدية ثمينة ؟

المؤلف

العظمة

أب بلا قلب ؟ !

— ١ —

إستمع إلى صديقى القارىء . لأقص عليك شيئاً فى حياتكم . شيئاً رأيته منذ طفولتى ورأيته بالأمس وما زال مؤثراً فى نفسى . هى قصة عجيبة وأظن انها تتكرر كثيراً . . وكثيراً فى دنياكم هذه .

واستمع منى إلى حديث هذه الزوجة وهى تسأل زوجها العطف لكى يتركها فى بيت الزوجية . لا لشىء بل لتربى إبنها . ولكن لأى شىء تريد منى أن أترك هذا البيت ؟ تسائل زوجها الذى نزع من قلبه الرحمة ، البيت الذى عرفت فيه أول أيام سعادتى . فهل يصح

لى أن اعرف أول أيام شقائى ؟ ألا ترق بهذا الجسد الهزيل ماذا جنيت حتى تطلقنى ؟ الا نى لست جميلة الآن ، لقد كنت على هذا الجمال القليل يوم أن فكرت فى الزواج منى . ولقد ظللت أيضا على هذا الحال طيلة حياتى معك . لم يتغير جمالى إلا فى عينك . ألست أنت رغم دمامتى كنت تنادينى بزوجتى وحبيبتى ؟ أين ذهبت هذه الألفاظ ؟ أكنت تصطنعها أم أنت فقط كنت تلهو . إننى زوجة الماضى . هذه الزوجة التى شاركتك قسوة العيش ولاقت الأمرين من أجـــلك أنا تلك الزوجة التى ضحت بكل عزيز لديها من أجلك وامتنعت عن كل الكماليات لتبقى لك قرشا على قرش إلى أن أصبحت من الأثرياء :

أبعد أن تصبح لك هذه الثروة الطائلة وأنا التى

بذلت كل جهدى حتى جمعتها وكونتها معك . وبعد ذلك تبخل على أن أشاركك نعيمك وأتمتع بها كما تمتعت أنت بها الآن . أنا لا أرجوك وأتحدث إليك من أجل نفسى أنظر إلى هذا الطفل إنه إبنك تخيله لو أخذته أنا الآن إلى مكان ما وبعدت به عنك . تخيله إذا جاء إلى يوما من الخارج ماذا أقول له حين السؤال عن أبيه ؟ .

هل لهذا الطفل الصغـــير قلب يتحمل به هذه الصدمة ؟ وهل لى من الشجاعة فاقص عليه قصة أبيه ؟ أأحطم سعـادته إن آن له أن يجد بعد اليوم السعادة . أأقول له بأن أباك يعيش فى الدنيا سعيداً. بينما هو يتخذ له الأرض مرقداً والسماء وثارا .

إنى لا أريد منك شيئا لقد قضيت من العمر الكثير فلا أطمع فى شىء سوى أن أرى إنى سعيداً فى حياته

إنى أتوجه إليك بل أستحلفك بحق إبنك أن لا تتركنى ليس لى أب ولا أم . أين أذهب ؟ ومن الذى يتكفل بهذا الطفل؟ إتخذنى عندك كخادمة . إقذف بى إلى أركان هذا البيت ، لكن دعنى أعيش هنا معك فى هـذا البيت ليعيش إبنى بين أحضانك إنه الأمل الوحيـــد الذى أتعلق به فى هذه الحياة . بل إنه الشعـاع المضىء الذى يضىء لى طريقى . إنه أملى وحياتى .

تزوج ماشيئت وصل بيتك هذا من النساء ما تريد إفعل كل ماتحبه فأنا لن أسألك شيئا ولن أعتب عليك ألا تسمع توسلاتى يالقسوة الرجال !

أخذت تتوسل اليـه ولـكن كلماتها كانت لا تجد القلب الرحيم الذى يرق لها تتوسل اليه ولـكن قلبه من صخر . هذا الذى كان بالأمس لا يملك شيئـا أعطته

الدنيا من زينتها وبهجتها الكثير.. رجل أعماه المال فاقفل قلبه طغى وتكبر . فنظر حوله فوجد البيت قديما فكيف له وقد أصبح ثريا أن يعيش بين هذه الوسائد الممزقة والأساس البالى ؟

وكيف لصاحب هذا المال أن يعيش فى وسط هذا البيت الذى صار فى نظرة بانقلاب الأيام كالكوخ الحقير؟ إنه يسعى ليغير كل شىء وما أيسر ذلك عليه . إن المال عنده لا يعرف له قيمة . نعم أخذ يسعى سعى المجد وظن أن المظهر هو الذى يسمو به إلى المجتمع الراقى : : : الذى كان قبل ذلك عنه بعيداً : اليس من السخرية أن يعيش صاحب هذه الملايين فى هذه الدنيا التى تحوى القصور الفخمة والرياش الرائع والمظاهر الكاذبه التى تبدو فى أعين المغرورين بالحياة شيئا

ذا قيمة ؟ أليس من السخرية أن يعيش فقيراً ؟ ألا يجب أن يجدد ؟

حقاً لقد جدد كل شيء وسعى إلى تجديد كل شيء فهذا الذى يشبه الكوخ فى نظرة قد أصبح قصراً . وهذا الأثاث البالى قد أستبدل بأثاث القصور وتلك الملابس التى تتماسك على جسده قد أستبدلت بجديده إنه يجدد كل شيء وقد جدد كل شيء حتى زوجته ! !

- ٢ -

خرجت المرأة تحمل على كتفها طفلها الذى لم يبلغ الثانية من العمر وخرج هولا لشيء بل ليعود إلى قصره بزوجة أخرى .

أنصت إلى صديقى القارىء فهنا أبتدأ بالقصة : فترى

فيها شخصيتين الاولى شخصية ذلك الرجل القاسى الذى أثقل المال جانبه فظن أنه بلغ كل مايريد : و نسى على أن الذى أعطاه هذا قادر على أن يسلبه منه هذا الرجل الذى كان بالامس لايعمل شيئا الا بنفسه وبعد روية وتفكير وبيده أو يشرف عليه . فكان ذلك سببا فى محو ثروته

ولكنه اليوم وقد أخذه الغرور وفتنه المال ، قد ترك إدارة اعماله لأناس آخرين ولم يشرف على أى عمل من أعماله : : :

لك ان تسألنى ولى أن أجيب : لك ان تسألنى وكيف كان يقضى نهاره وليله ؟ ولى أن اجيب أنه كان ينفقه بين الحفـــلات والسهرات وبين الكأس والمظاهر الكاذبة . فهو دائم يقيم الحفلات الساهره حتى يقال

عنه أنه غنى واتخذ له ولزوجته الجديده من فاخر الملابس اعظمها وأغلاها ثمنا . والشخصية الأخرى : هى شخصية الزوجة . أتدرى أين ذهبت . إنى أتخيل منظرها الآن وقد اتخذت سطح إحدى المنازل لها سكنا فها هى ذى فى حجرة فى ذلك المكان قد جلست تفكر غير انى لا استطيع أن أخبرك عن الذى كانت تفكر فيه لأنها لم تجهر به أمامى : ولكنى ايضا استطيع أن أخمن عن تفكيرها : وفيما كانت تفكر : فها هو ذا إبنها قد بلغ الثالثة من عمره او كاد . قد جلس أمامها يلهو وهى تنظر اليه مشفقة عليه . مشفقة على هذا الطفل الصغير من ان يناله العذاب . كانت تفكر فى حالة هذا الطفل وفى سعادته إذ لم يسرحها أبوه ، وتتذكر انها كانت تدخر كل مايصل إلى يدها ؛ وتشقى وتتعب لكى يسعد

إبنها فى المستقبل . ولكن حين نال أبوه الطاغية ثروته نسى إبنه ولم يذكر إلا نفسه . وأراها مرة ثانية فى بيت آخر وقد إتخذت مكان الخادمة التى تقضى فى كل بيت ساعه أو بعض ساعة تقوم فيها بغسل الملابس أو إحضار أشياء . فتستطيع بذلك أن تمر على بيوت كثيرة وتستطيع أيضا أن تجد آخر الشهر شيئا يعينها على تربية إبنها ، وهذه الخدمة المتنقلة تجعل فى إستطاعتها أن تلجأ آخر النهار الى حجرتها وتضم إبنها اليها . .

وها هو الطفل يخطو الى السابعة من عمره وقد أتاح الله له دخول المدارس الابتدائية بالمجان . كان ذكيا . فطنا . فنال تقدير أساتذته وكان كريما نبيلا . فلم يكلف أمه أكثر من طاقتها . حتى أنه كان يرضى بالقليل ويسعد بالابتسامة ولكنه أيضا كان يسأل عن

أبيه . يريد أن يعرف من هو ذلك الأب . ولكن أمه لم تعطه الحقيقة . فدائما كانت تخبره بأنه توفى فى حادث ما ولكنها أيضا لم تنس أن تخبره بأن أباه كان رجلا عظيما كبيرا . حتى تغرس عزة النفس فى نفسه .

وتحدث المسكينة إبنها كل يوم عن أبيه ولكنها تعلم أنها تكذب عليه . وهناك من يخليها من مسئولية هذا الكذب . فهى تعلم أن أباه فى أقصى المدينة يسعد بدنياه ويأكل مالذ وطاب . فلو انها حدثته عن أبيه هذا واخبرته أن أباه سعيدا . بينما هو يشقى لا يعرف للحياة لذه . تلك اللذة التى يسعد بها المخدوعون فماذا تكون حالته .

لعلك إذا يا صديقى العزيز بجانب المرأة فى رأيها فهى تريد أن تنشىء إبنها تنشئة صالحة . حتى أنها

تصبر على الشقاء امامه لتهيء له المركز الذى ينتظره

✡ ✡ ✡

وها أنا ذا أراه يخطو إلى الثامنة عشر . وأرى الأم وقد أحنت الشيخوخة ظهرها واضاعت بصرها فهى تعمل ليل نهار لا تعرف الراحة ولكنك أيضا قد تتخيلها وقد زف اليها الخبر وهو نجاح إبنها فى اتمام الدراسة الثانوية بتفوق. لعلك تتخيلها والدموع غزارا تنهمر على وجهها وهي تضمه إلى أحضانها فرحة به . ولماذا لا تفرح ؟ لقد حقق الله أملها الاول . فها هو عما قريب سيكون طالبا من طلبة كلية الطب كما كان يحب ويرغب . ياله من كفاح ، كانت نتيجة سعادة هذه المرأة . وياله من فتى ذكى نبيل إستمع إلى نصائح أمه فنال مايرغب وأعطاها ماتتمنى .

وما هى إلا أيام قليلة . . . قليلة جدا حتى عبثت فى وجهها الأيام وانت تراه وقد دخل يوما على هذه السيدة العجوز وقد انهكها المرض فلم تستطيع أن تقوم بأى عمل . يدخل اليها . يطلب منها الطعام . فتجيبه الدموع فيفهم معناها أن بيته . . استغفر الله بل تلك الحجرة الصغيرة خاوية من الطعام . يالها من نفسين مهذبتين حطمتهما الدنيا . فلعلك تستطيع أن تتخيل هذا المنظر المحزن فالأم تبكى لانها لاتستطيع أن تفعل شيئا من أجل ابنها . والابن يبكى ايضا لا لأنه يرغب فى البكاء ولا لأنه يريد الطعام . بل لأنه لايستطيع أن يفعل شيئا من أجل أمه .

ويطوف فى خياله طائف . ولكنه يفكر هذا الطائف غير أنه يلح عليه . يلاحقه أينما ذهب . فيظر

إلى كتبه وتدمع عيناه . عزيز عليه أن يفارق هذه الكتب . حقا إنها كثيرة وقرأها جميعها ، ولكنها هذه الكتب هى التى كانت تؤنبه إذا طال الليل ، وكانت تسعده وتريحه حينما يفرغ إليها . لقد كان يعشق الادب ويحب الكتب ، لكن هذا الطائف ما زال يلح عليه بأن يبيع هذه الكتب ويبدوا أمام عينه الحقيقة واضحة ظاهرة له بأن ذلك هو الحل الاخير فليس أمامه ما ينقذه من ورطته إلا هذه الكتب . فيحملها ويلاقى فى ذلك العناء الكثير . ويسير فى طريقه إلى البائع .

- ٣ -

صديقى العزيز . لقد أخذت تحدثنى عن حياة هذا الفتى وأمه وتركتنى أو بعدت لى عن الرجل . كم أنا مشتاق إلى أن أعرف حالته .

لا تسرع . . إنى كنت على وشك أن أحدثك بذلك . نعم كنت أود أن أقول لك عن الابن الكثير ولكنك ما دمت ملحـــا فى معرفة حال الرجل فلأحدثك عنه ، وأعود بك مرة ثانية الى الفتى .

نعود الى الأب فنراه وقد غمره المال كما تعلم . نراه اختطف الى احضانه فتاة صغيرة ، أى وربى تكاد أن تكون شبـــه أبنائه ؛ وأغرم بها وعرفت اللعينة موقعها فى قلبه وعلمت أنه أسلم اليها قيادته ، فأخذت

تتصرف فى أموره وما عليه إلا أن يطيع .

لقد حدثتك قبل ذلك بأن هذا الرجل كان يدير أعماله بنفسه ولكنه اليوم لم يجد من وقته ما يخصصه لهذه الاعمال . ان أمامه الحفلات الكبيرة الساهرة وأمامه النزهات التى تديرها تلك الزوجة الصغيرة وهو لها مطيع ، ويعلم عماله عنه هذا فيلهون أيضا وتختلس اموالهم من جهة وهو يقامر بها من جهة أخرى

لم يتخذ هذا المسكين من ماضية عبره . لم يطف فى خياله شقاء الماضى ولم يفكر فى انه كان يقضى أياما هو وزوجته الاولى المسكينة لا يجد فيها ما يسد رمقه . ولكن لا . . لم يفكر فى ذلك وقد اعطاه الله من النعمة الكثير تلك النعمة التى لم يرعاها ولم يفكر فى الماضى . فلقد دثر المال هذه الذكرى القديمة وظهرت

امام عينه الدنيا الجديدة ببهجتها وبقصورها الفخمة . وكيف له أن يفكر فى الماضى . بل وكيف يسمح لنفسه بأن يعود بخياله إلى هذا الماضى . فيتذكر أنه كان يلبس الملابس الممزقة . وهل يروق له هذا ؟ لقد حلت الملابس الفاخرة بدل الممزقة وحلت القصور الفخمة بدل الاكواخ الحقيرة . .

ويعدو به السن الى الشيخوخة كما انهكت زوجته الاولى ، أمواله كثيرة فاستطاع بها أن يزيل هذه الشيخوخة وتحل مكانها قوة . . . ملأ موائده بما لذ وطاب لا هم له فى دنياه الا ان يأكل ويحتسى الخمر ويلهو مع زوجته كأنه ماعاش الا ليلهو . بينما هناك بعيدا فى طرف المدينة ابنه وزوجته لا يستطيعان أن يأكلا أكلة كاملة ، ومن أين لهما بهذه الوجبة الكاملة ؟

قل أن تمر عليهما اللحوم الا بما يجود به السادة لهذه العجوز حين خدمتها لهم ولكنهما قد تحالفا مع الخبز الجاف والجبن وهما لهما صديقين ، وإذا أصابا يوما قطعة من اللحم أو طبقا من الخضر عدا ذلك انتصارا عظيما . .

ولكنهما لايجريان وراء كماليات الحياة كما يجرى وراءها هذا العجوز . المتصابى . هما سعيدان بهذه الحياة فماذا يطلبان منها الا الصبر على مصائبها ونكباتها وقد اعطتهما الحياة عرضها . هذا ولم تبخل عليهما به هما سعيدان بهذه الحياة . حقا سعيدان بفقرهما سعيدان بحياتهما البسيطة .

— ٤ —

ألم يغير ثمن هذه الكتب التى باعها الفتى شيء من حياتهما . ؟

ويحك أيها الصديق لقد أردت منى منذ دقائق أن أبعد بك عن الفتى لأحدثك عن الأب ، ولكنك لاتطيق ذلك أو أنك تود أن تعلم كل شيء فى وقت واحد . أليس من الخير أن تصبر لحظة حتى أتم حديثى عن هذا الوالد وأعود بك إلى الفتى . . لكن ولكن لن أبخل عليك بما تريد سأحدثك بذلك . .

لقد رجع الفتى وقد باع كتبه التى كان يحملها ووضع فى جيبه هذه النقود وإن كان يفضل الكتب عنها . ولكن ما بيده ؟ أن الحياة لم تعاهده على أن

تكون وفية له طول عمره . ولم تعاهده أيضا على أن تعطيه كل مايرغب، نعم لقد رجع وهو يظن أنه يستطيع أن يلبس حله جديدة بدلا من تلك التى لم تفارق جسده منذ ثلاث سنين، واشترى ما يكفيه أياما هو ووالدته من الطعام . ولكن المسكين ما كاد يدخل إلى حجرته حتى يسمع أثاث أمه واستغاثتها ، إن الحياة لا تريد أن يسعد بها لحظة . أو لعل الحياة تريد أن تسبكه بمعولها القاس فتجعل منه رجلا كاملا . فهو منذ لحظات كان يتخيل البذله الجديده وهو منذ لحظات كان يحلم بهذا الحلم الجميل ولكنه أمام اثنين الآن : . .

إما أن يلبى نداء حلمه وخياله .وإما أن يلبى نداء قلبه وضميره . فحلمه وخياله يناديانه بأن يشترى بذلة ويسعد بها ولكن قلبه وضميره يناديانه بانقاذ والدته

التى فى حاجة الى الطبيب الآن . . .

وأخيرا يلبى نداء الضمير ويلبى نداء القلب . وإلى الطبيب يهرع ويقذف إليه بكل ما يملك فى دنياه لينقذ هذه المرأة التى كافحت حتى ربته . وجعلته إنسانا يشعر بالحياة ويتنسم نسيمها فشب لا يعرف . . إلا هى . . .

- ٥ -

واتركك الآن وقد اعطيت نفسك بعض ما ترغب من حديث عن الفتى وأعود بك للمرة الثانية إلى الرجل ولا أظن أنك تعارض فى ذلك .

لقد إبتدأت مالية الرجل الغنى الباغى تضمحل رويدا رويدا ويغيب عنه طائر السعادة . ويقرب منه شبح مخيف يخشاه كل غنى وهو شبح الافلاس يالها

من حياة مليئة بالأعاجيب . عد يفكر رويدا إلى الوراء أوعد به دفعة واحدة فانك تجد أن هـذا الرجل كان فقيراً معدما ثم أعطاه الله ثروة كبيره فلم يرعاها . أخذ يقذف بأمواله ذات اليمين وذات اليسار . ظن المسكين أن الحياة ستدوم له ولا تغدره . حقا يالها من حياة مليئة بالأعاجيب فهـا هو ذا الذى كان غنيا يستجدى الناس . يمد يده الى كل إنسان . عله يستطيع أن يحصـل على لقمة من الخبز وهو الذى كانت موائده مليئة بما يشبع عددا كبيرا من أمثاله ولـكن الحيـاة لا تدوم .

أعطاه الله النعمة كفر بها وظن أن هذا المال ليس الا للهوه ولذاته ولـكن الله قد إمتحنه . سلبها منه فعاد اليه فقره . لا بل عاد الى حالة أشد وأكبر . فبالأمس

كان لايجد الزوجة التى تواسيه وتعطف عليه ، ولكنه طلقها وزوجة اليوم لم تصبر معه لأنه فارق ماله أو فارقه ماله . عجيب منك أيها الصديق أن تمنى فى حديثك ، ولا تحدثنا عن سبب إفلاس هذا الرجل لم أحدثك ؟ ألم أقل لك أنه قد ترك إدارة أعماله للغير وأنه أخذ يقامر بكل مايملك . ولكن زوجته أيها الصديق ، وكيف سمحت نفسها بأن تتركه وقد زال عنه المال؟ إذا فهى لم تكن تهواه ، بل كانت تحب ماله فحين زال هذا السبب ، زالت عنه هى الأخرى .

لقد أحسنت صديقى العزيز ، نعم إنها لم تتزوجه إلا لأنه كان غنيا ، فلما زالت عنه الثروة ، زالت هى أيضا معها . ولكن أين أصدقاؤه ؟ أين كل هؤلاء الذين كانوا يملئون موائده ؟ ألم يتقدم أحد منهم لينقذ

هذا المسكين ولو بالطعام ؟ ها ها لست أدرى ، هل أنت حسن الظن بمثل هذه الطائفة ؟ أم أنت لا تعرفهم .

إنهم ياصديقى القارىء يتظاهرون بالصداقة لينالوا مآربهم وأغراضهم ، وحين ينالون هـذه الأغراض ، أو حين يجدون أنهم لن ينالوها تجدهم قد إنفضوا من هذه الصداقة . حقا لقد انفضوا من حوله حين ذهبت عنه ثروته . كم قابل كثـــيراً منهم ومـد إليهم يده لا ليعطيهم كما كان يفعل ، بل ليسألهم . لـكنهم لم يابوا نداء هذه اليد لأنها تطلب منهم لا تعطيهم .

* * *

أثر كل هذا فى الرجل ، وعادت إليه ذكرى حياته الأولى . عادت إليه ذكرى زوجته القديمة وإبنه ، ثم تذكر بجانب هذا كله حياته الوسطى التى قضاها سعيداً

كما كان يظن وبدت أمام عينه الآن الحقيقة واضحة ، وتذكر أيضا تلك الفتاة التى انفضت من حوله حين ذهبت عنه ثروته ، وتذكر أيضا أنه لم يتوان يوما عن إسعادها ، وابتسم حين طاف بخياله ذكرى من ادعو صداقته ، وكم كان يطعمهم! وكم كان ينفق على سهراتهم! وكم كان يتكلف فى ذلك وقد خدعته ألفاظهم المعسولة التى اتخذوها تجارة لاصطياد أمثاله . . !!

تطوف كل هذه الذكرى فى خياله فيبكى وينهمر منه الدمع غزيرا ، وهو الذى لم يعرف قبل ذلك البكاء لقد كان بالأمس سعيداً فى حياته يتقلب بين كؤوسها وبين نسائها وبين مظاهرها الكاذبة ، ولكنه اليوم . ! اليوم فقط وقد صدمته الحياة ظهرت أمامه الحقيقة واضحه ، وظهرت له أنه كان مخدوعاً بها . . !!!

يقلب بصره مابين الأرض والسماء ، يبحث عن الرحمة ولكنه لايرجوها . لقد أعطاه الله النعمة فلم يرعاها ، طغى وتكبر ونسى ربه . إنه اليوم يكفر عن ذنبه ، يكفر عن خطيئة الماضى . لقد كان يعيش سعيداً فى حياته ، فظن أن هذه الحياة ستدوم ، فطغى وقذف عنه كل قديم « حتى زوجته الأولى ! » وجاء بثانية وفتنته المظاهر الكاذبة ، والكؤوس البراقة . فكانت النتيجة شقاء فى الدنيا ! ، وشقاء فى الآخرة . . !

- ٦ -

صديق : إحفظ هذه الصورة فى خيالك ، صورة ذلك الرجل التعس . . لأعود بك أخيراً إلى الفتى .

تراه قد أتم تعليمه العالى ، وأتاح له الله « الدكتراه »

فى الطب الجراحى ، وقد إفتتح عيادة فى حى آهل بالكثير من الأواسط المختلفه ، وسكن فى إحدى العمارات الفخمة هو ووالدته التى شفاها الله من مرضها لقد وجدت الأم فيه إبناً باراً ، ووجدت فيه رجلا نبيلا . . فنسيت كل مالقته فى سبيل تعليمه ، وقرت عينها ، فلقد حقق الله آمالها . . .

إنها تلح عليه فى كل يوم وكل ليلة أن يتخذ له زوجة ، ولكنه يمانع فى الزواج لا زهداً فيه ، ولكنه يعلم أن الزوجة دائما يكون بينها وبين والدة زوجها بعض خلافات بسيطة ، وهو لا يريد هذه الخلافات بينه وبين والدته . . .

لقد زاع صيته وسطع نجمه . . إنه اليوم سعيداً ولكنه لم ينسى أن يعطف على كل فقير تعس ، لأنه

عرف الفقر وجرب مرارته . . إستمع له وهو بجوار أمه ، وقد جلست فى عيادته بجواره عصراً .

يا أماه . لو كان أبى حياً ، ووجد أن إبنه قد سطع نجمه فى هذه الأيام ، وأصبح مشهوراً كالعلم . فماذا يكون شعوره ؟ حياً . . ! ! ؟ من . ؟ أباك . وحدثت المرأة . نفسها بأن تخبر إبنها بالحقيقة ولكنها أخيراً رأت أنها من الخير أن يظل معتقداً أن أباه قد توفى .

مالك يا أماه لا تجيبى . . لعلك كنت تحبين أبى ؟

نعم يا إبنى كنت أحبه فهو الذى كان عتادى فى الدنيا بعد وفاة والدى ووالدتى وإخوتى .

وهل كان يحبك يا أماه هو أيضا ؟ .

نعم . وأخرجت زفرة وأنهمرت دمعة على وجنتها فجففها إبنها بيده . . بعد أن طبع قبلة عليها . . . .

يسأل أمه ماهذا . . . ؟ !

وينصت الأثنان إلى هذا الصوت المفزع . وينظر الفتى من النافذة فيرى أن سيارة قدصدمت رجلاعجوزاً يستجدى . . ترك النافذةوهرع إليه ثم أحضره إلى عيادته ولكن الله قد سلمه

ينظرالفتى إلى هذا العجوز فيدهشه أنه يجد ملامحه قريبة منه ، ويشعر إليه بميل غريب ، وكان هناك هاتفا يدعوه إلى ذلك الرجل ، يفكر فى نفسهعن هذاالجزع والهلع على ذلك الرجل ، وهو الذى رأى أكثر من ذلك . فكم من إصابات عالجها ، ولكن هذا الرجل ليس مصاباً . فيبحث فى نفسه عن الجواب ويلح على هذه النفس فى الانكار ، فلا يجد أمامه إلا أن يلجأ الى أمه يسألها إيضاحا . .

وتأتى الأم لترى هذا العجوز ، فينكر الفتى عليها إضطرابها وينكر الفتى بكاء العجوز . إنه يسمع حوار بين العجوز وبين أمه . . .

لا . . كم كنت خاطئا يانفيسه ، إنى أكفر اليوم عن طيشى . كم كنت مغروراً حين طفقت . آه . . لو تعلمين وقع هذه الساعة فى نفسى ، إن القتل أهون على منها . .

شوكت . شوكت . ولم تستطيع الأم أن تقول لزوجها شيئا . حقاً لقد كانت تحبه ، وكانت لا تريد إبنها أن يعلم عن حياة أبيه شيئا ، ولكن الله أراد له ذلك . . .

(إن العجوز ينظر ألى الفتى ثم ينظر إلى الأم)

من هو هذا الفتى يانفيسه ؟

إنه حمدى . . حمدى إبنك .

إبنى ؟ ! . . نعم هو . ولكن اسمت جديراً بأن أناديه بابنى اليوم ، إننى شيطان . . شيطان يانفيسه

ويفيق الابن من دهشته وينظر إلى العجوز تارة ، ثم إلى أمه تارة أخـــرى . ولا يفهم مما يرى أو مما يسمع شيئا .

من هذا يا أمى ؟ . . إنه أباك .

أبى . ! أبى ! ولكنك أخبرتينى أنه قد مات .

يسمع العجوز ذلك من إبنه ، ويعلم أنها قد أخبرته أنه قد مات ، فيسره ذلك نعم يسره ، لأنه لا يريد أن يزيد شقاء إبنه ، بأن ينضم إلى جناحه . إنه يريد أن يتعذب مابقى له من الحياة ، يريد أن يتألم . .

هل أنت أبى ؟ ! ويسأل الابن مستغرباً ، فلقد

أخبرته أمه بأن أباه قد مات . ولكنه اليوم يرى، ويسمع، ويشعر بذلك فى قلبه .

لا . لست أباك إنى مجرم إنى شيطان لست أباك هى تقول ذلك لتعطف على أكثر

وينهض الأب ليبتعد . فيقف فى طريقه إبنه وزوجته الأولى . ولكنه يرقد ثانية إلى النافذة ويقذف بنفسه منها . . . فتخرج عنه روحه ويلقط أنفاسه الأخيرة وهو يردد . . . لست أباك . لست أباك . . .

وهكذا سيدى القارىء الكريم حال كل أب بلا قلب . يبحث عن الرحمة ولكنه لا يجدها . لقد أعطاه الله النعمة فلم يرعاه . طغى وتكبر . ونسى على أن الذى أعطاه هذا قادر على أن يسلبه ﴿ سبحان ربى العظيم ﴾

وإلى اللقاء صديقى العزيز . . . ؟

﴿ تمت ﴾

شكر وتقدير

أتقدم بشكرى الجزيل إلى كل من ساعدنى على إخراج هذه القصة وشد عزيمتى وقوى إرادتى وإنى عاجز على أن أوفيهم حقهم من الشكر والتقدير . . وأخص بهم والدى . . . فاقدم ياسيدى الوالد الفاضل بين يديك قصتى هذه إعلاما لجلايل نعمك على وإعلاما لشآبيب كرمك لدى وإظهاراً لما أسبغت على من وافر جودك وجزيل إحسانك فيا أبت الكريم لأشكرن لك صنيعك شكر الزهرة الذابلة للقطرة الهاطلة ولك من إبنك البار خير ما تلقى الآباء من أبنائها . مد الله فى عمرك وبارك لك فى ولدك لتجنى ثمار ماغرست .

ثم إلى صاحب الفضل الأكبر خالى المحترم محمد

افندى شبل دراز .. كما وأخيراً أتوجه بالشكر الخالص القلبي إلى أخى الوفى المخلص « سيد احمد افندى شبل » الذى أخذ على عاتقه القيام نحو طبعها ، ثم الى حضرتى عثمان افندى عبد الحميد وعبد الباقى افندى الخولى للدعاية ، والنشر ، وجميع أصدقائى والمحبين ؟

المؤلف

تقاريظ

تشجيـــــع وثناء

ها أنت أيها القارىء الكريم قد قرأت قصة (العظه . أب بلا قلب) فما رأيك ؟ . . .

سيكون جوابك بطبيعة الحال . أن هذه القصه هى من أروع القصص المصريه التى ظهرت للآن .

ذلك لأن مؤلفها البارع «الأستاذ محمود شبل غلاب» لم يتخيلها، وإنما نقلها من صميم الحياه. فهى أمتع وأبرع من الخيال، وبذلك أخرج لنا تحفة أدبية شيقة يستحق عليها كل تشجيع وثناء.؟ (منير ابراهيم احمد)

تقدير وإعجاب

عزيزى الأخ الأديب الأستاذ محمود شبل غلاب.

بدافع المحبه والأخوه واتحاف النواحى الأدبيه فى شخاك الكريم مع ميولنا فى هذا المضمار. أكثر الله من امثال شبابك الوثاب الذى دائما رائده خدمة الوطن والانسانيه جمعاء. بهذه الروح القويه وبتلك الأخلاق النبيلة التى تتجلى فى إسلوبك الرقيق وتعبيرك اللطيف فى كتابك الأول من سلسلة قصصك «العظه» مما يدل على أفقك الواسع وخيالك الخصب الذى يفيض حلاوة وعذوبه تأخذ بمجامع القلوب. هذا قليل من كثير. فأترك الباقى للقارىء الكريم لكى يشجع هذا الشباب الناهض. والله المستعان.؟ (محمد فهيم الشريف)